الازدواجية والثنائية والتعدد اللغوي في المجتمع المغربي

لحسن غزوي*

يتناول هذا المقال موضوع الازدواجية والثنائية والتعدد اللغوي في المغرب، بوصفه بلداً تعايشت وتتعايش فيه اللغات، فمغرب اليوم تتعايش فيه الأمازيغية والعربية جنباً إلى جنب، بالإضافة إلى اللغات الأجنبية من فرنسية وإسبانية وإنجليزية، والتي أخذت مكانها بفعل التواصل الذي كان يتم بين المستعمر وسكان البلاد . لقد حاولت كل لغة أن تحافظ على ضمان موقعها ودورها ومكانتها، وعلى احتكار مناطقه الجغرافية. من جهة أخرى، ترتبط الثنائية أو التعددية اللغوية من دون ازدواج لغوي بمواضع ومواقف انتقالية ,كتلك التي يمكن أن تعيشها الأجيال الأولى من جماعات المهاجرين, حيث في مثل تلك الأوضاع تنفلت المهارة اللغوية الفردية من الضبط الاجتماعي، وتمحي المسافات بين اللغات، وتؤدي أوضاع كهذه إلى استبدالات لغوية; أي حلول مفردات وحتى تراكيب لغوية للغة المهجر، محل مفردات وتراكيب اللغة الأم، حيث تصبح لغة الفرد تفيض بالألفاظ والتراكيب المقترضة حد التهجين. ويظهر تمييز ظاهرة الازدواجية اللغوية بشكل نسبي. من خلال التراتبية الاجتماعية للاستعمالات اللغوية في إشارة لدور المقياس الاجتماعي وتأثيره في تراتبية الاستعمالات اللغوية.

L'article traite la question de la dualité, du dualisme et du multilinguisme au Maroc, en tant que pays dans lequel les langues "le berbère et l'arabe" coexistent, en plus des langues étrangères que sont le français, l'espagnol et l'anglais, qui ont pris leur place en raison de la communication qui s'opérait entre le colonisateur et les habitants du pays. Chaque langue s'est efforcée de conserver la garantie de sa place, de son rôle et de son statut, et de con- server un monopole sur ses aires géographiques. D'autre part, le « dualisme ou multilin- guisme » sans << bilinguisme » est associé à des positions et des situations de transition. telles que celles vécues par les premières générations de groupes d'immigrants, où dans de telles situations la compétence linguistique individuelle échappe au contrôle social, et les distances entre les langues sont effacées, de telles situations conduisent à des substitutions de langues; C'est-à-dire les solutions de vocabulaire et même de structures linguistiques de la langue immigrée, pour remplacer le vocabulaire et les structures de la "langue mater- nelle", où la langue de l'individu devient débordante de mots empruntés et de structures jusqu'à l'hybridation. Toute proportion gardée, le «phénomène du bilinguisme» apparaît à travers la hiérarchie sociale des usages linguistiques, en référence au rôle de «l'échelle so- ciale>> et à son impact sur la hiérarchie des usages linguistiques[1].

Copyright 2022 (Lahsan Ghazwi). Licensed under the Creative Commons Attribution 1 Non- commercial No Derivatives (by-nc-nd). Available at http://markerz.info

تسويغ

تروم هذه الدراسة تفحص الأوضاع اللغوية التي يسمها «ازدواج لغوي دون أن تشملها أية ثنائية لغوية ليتبين: «أنه وحتى عندما تفرض دولة ما وحدة سياسية واقتصادية على مجتمعات لغوية مختلفة، وتكون هذه المجتمعات مفصولة جذريا عن تقاليدها الاجتماعية والثقافية، يفرض التعارض اللغوي نفسه، ضمن علاقة من طراز «ازدواج لغوي». وتدخل العلاقات اللغوية في هذا المجال ضمن إطار تراتبي سليم». (1)

وفي التاريخ اللغوي، نماذج عن مثل هاته الأوضاع، حيث كان التواصل يتم بين المستعمرين بلغة الغزاة، كما رأينا مع الدول الاستعمارية التقليدية (إسبانيا، فرنسا، انكلترا. البرتغال ألمانيا، روسيا وغيرها .....) كما كان يتم التواصل بينهم في بادئ الأمر بواسطة مترجمين.

1-الثنائية أو التعددية اللغوية

ترتبط «الثنائية أو التعددية اللغوية »من دون« ازدواج لغوي » ,بمواضع ومواقف انتقالية, كتلك التي يمكن أن تعيشها الأجيال الأولى من جماعات المهاجرين, حيث في مثل تلك الأوضاع تنفلت المهارة اللغوية الفردية من الضبط الاجتماعي، وتمحي المسافات بين اللغات، وتؤدي أوضاع كهذه إلى استبدالات لغوية ,أي حلول مفردات وحتى تراكيب لغوية للغة المهجر، محل مفردات وتراكيب «اللغة الأم، حيث تصبح لغة الفرد تفيض بالألفاظ والتراكيب المقترضة حد التهجين، بل ومولدة كذلك.

ويورد فيشمان مجموعة من الأمثلة على كيفية التآلف مع الأشكال محليا وقوميا، فبالنسبة للأشكال المحلية أو المناطقية واقع «المقاطعات » Contons السويسرية، حيث إن لكل من «اللغة الألمانية » والشكل المحلي (الألماني) وظائف اجتماعية مختلفة الموضع ومتميزة الوضع والأمر كذلك بالنسبة للمقاطعات التي يتكلم أهلها الإيطالية أو الفرنسية».(2)

وأما بالنسبة للأشكال التي تنحو نحو السيادة والقومية، فيأتي بالوضع اللغوي الفرنسي ,يقول: «إن الأوضاع اللسانية الاجتماعية التي تسم اللغة الفرنسية رغم تنوعها، تشمل أشكالا ذات أحياز إقليمية مصغرة مثل الشكل البروفنسالي» أو «البكاردي» أو «الأوكيستاني» [...]. ووضع كهذا، يجبر تنحى أشكال الأحياز لصالح

تعميم الشكل اللغوي لمدينة باريس، بل وتفرضه على بقية الأشكال الأخرى المتواجدة والمحاقلة له على صعيد فرنسا كلها، حيث تضحى جميع الأشكال الأخرى المتواجدة إلى جانبه، أشكالا لهجية أو لهجات محلية فحسب. وقد يكون هذا الوضع أو ذاك ازدواجيا، وذلك بقدر ما تكون الأشكال أو اللهجات المتداولة عاميات [...]، متعارضة اجتماعيا، مع الشكل المعير أو المقعد، والذي نسمه بسمة للغة. (3)

ونؤكد, بعد هذا النقاش أنه لم يراع مستوى تطور اللغة العربية بالشكل المطلوب. وقد تعاقبت على ذلك عوامل عدة، وعلى رأسها الإقصاء والتهميش وحصرها كلغة دين وأدب لا غير, والمؤسف أن أبناءها يتم توظيفهم في دعم هذا التواطؤ والإقصاء، والأنكي أن بعضهم يكرس ذلك بإصرار, « وكأننا به يلطم وجهه بتلذذ »

مما لا شك فيه أن موقف فيشمان هذا أقرب إلى وجهة نظر فرغيسون حين تحديده» الازدواجية اللغوية »إلى معيارين أساسيين: أولهما، مستوى تنافسي لشكلين لغويين عائدين لنفس اللسان، وثانيهما، وضع مختلف لتلكما النوعية، حيث إذا كان أحدهما يتميز بكونه يمثل شكلا دارجا، جار على لسان الفرد، فإن الآخر، يفرض كمعيار رسمي في الإدارة والتعليم والإعلام وغير ذلك....

وبما أن السمتين المستند إليهما، لا تسيران بالضرورة في نفس المسار، أو تحافظان على نفس المستوى. فإن هذا التوصيف, يمكن أن يحمل في أصله خلافات لن تظهر إلا بعد أن يفضل بين أحد المعيارين، ويبقى عليه لوحده .

وللتدليل على تخريجات فرغيسون سنعرض لبعض الحالات التي قام عليها تحليله، مع الملاحظ أن كثيرا من تلك الحالات، تثبت بشكل لا جدال فيه، أنه لا يمكن أن نصب كل الاهتمام على الاعتبارات الاجتماعية. فالرائز الاجتماعي ليس كاف لوحده للحسم في اختيار الشكل المعير من غيره، خاصة حين يتعلق الأمر بالحديث عن تفضيل نوع على حساب آخر دون مبرر موضوعي أو علمي مقبول من جهة الأفراد المستعملين لكلا النوعين.

وقد لا نجد أية سمة من هاتين السمتين التي اشترطهما فرغيسون لإثبات صفة «ظاهرة الازدواجية اللغوية, حيث يمكن أن تستند إليهما لهجتان تتنافسان في نفس

الحيز المجالي ، وتتمتعان بوضعين مختلفين دون أن تشكلا بالضرورة شكلين لنفس اللسان.

والملاحظ أنه قد يستعصي أحيانا التمييز بين مواقف «الازدواجية اللغوية » ومواقف «الثنائية» أو «التعددية اللغوية». فقد يطبع كل وضع يقوم فيه مجتمع لغوي أحادي بمعارضة آخر كلاسيكي Classique، حيث يمكن أن يحصل نوع من «الازدواجية اللغوية» تتعايش ضمنه معاجم مختلفة ذات سجلات أو تنوعات متباينة وظيفيا كونها تحوي ثنائية أو تعددية لغوية, والمثال الهندي أو الجنوب الإفريقي وغيرهما في مقابل الاستعمار الإنجليزي. كما المثال السنغالي وغيره في مقابل الاستعمار الفرنسي شواهد على ذلك.

وقد عقب على هذه الملاحظة مارتيني, حين مقارنته بين ما ينطبق على اللسان البروتاني واللسان الفرنسي في مقاطعة بروتون الفرنسية, وحين تطرقه لحال اللسان الباسكي واللغة الكتلانية بإسبانيا» [4]

ويعتبر تعقيب مارتني هذا دليلا من صميم الواقع اللغوي الفرنسي الذي ينتمي إليه، ويؤكد من خلاله على أنه «المقياس الاجتماعي» غير كاف لوحده لتعيير الظاهرة.

لكن مع ذلك، يمكن وفي حالات كثيرة أن نقتصر على تمييز «ظاهرة الازدواجية اللغوية». بشكل نسبي من خلال التراتبية الاجتماعية للاستعمالات اللغوية في إشارة لدور« المقياس الاجتماعي »وتأثيره في تراتبية الاستعمالات اللغوية، يضيف فرغيسون بالقول: «إن التراتبية الاجتماعية / الثقافية، يمكنها أن تفند الزعم الذي ندعو إليه».

2-الازدواجية اللغوية (الأدبية والعامية)

يمكن الإشارة إلى الموقف المغاربي ,من خلال وضع مواجهة أو مقابلة بين «الازدواجية العربية» الأدبية والعامية. وفي المقابل، يمكن أن نقيم نوعا من التقابل بين «الثنائية» [فرنسية عربية، حيث أوجه التعارض قائم في هذا المنحى على كل المستويات بدءا بالمستوى النسقي ، وليس انتهاء بالمستويين المعجمي والفنولوجي.

ارتكز لغويونا القدامي خاصة، تقييسهم لهاته الظواهر على شرط التوافق أو الموافقة، في مقابل الاختلاف. وقد خصصوا لذلك أبوابا، تمت تسمية بعضها بـ«توافق اللغات» أو «المتفق والمختلف عليه من اللغات»... وغير ذلك كثير. [5]

ويمكن أن تخصص تحت مصطلح الازدواجية موقفاً لغوياً اجتماعياً، حيث يتم استعمال وبشكل تنافسي لهجتين لهما وضع اجتماعي وثقافي متفاوت، وحيث يعتبر الشكل الذي يتم استيعابه مع حليب الأم فطرياً» أو «لغة أما»، وهو ما يظل يستعمل في الحياة اليومية وفي المقابل، يعد الشكل المقعد منه والمكتسب من خلال التلقين في الحالات العادية ,أو اللسان الذي تفرض ظروف خاصة استعمالاته, من مثل توحيد التكتلات الإثنية داخل المجتمع المتعدد.

لذا ,يجب أن ندخل تحت ظاهرة «الازدواجية اللغوية »كل مواقف احتكاك اللسان باستثناء ما يمكن أن نعتبرها «لكنة» أو حتى «ثنائية شكلية» مختصة بفرد بعينه، خاصة إذا كان الفرد المعني يعيش في مجتمع« أحادي اللسان»، ويجد نفسه ممارسا لسانا آخر اكتسبه, إما من أحد أقربائه، وإما من جهة احتكاكه بمجال لغوي آخر مغاير" [6]

ويدعم مارتيني هذه التخريجات بقوله: وفائدة هذا الأمر أن العملية تكمن في عدم معاكسة هذه التركيبة المعقدة التي يمكن للفرد امتلاكها ,وللأفكار التبسيطية التي يكونها «أحاديو اللسان »حول مفهوم ومصطلح «الثنائية وقيمتها، حيث إنه حين تتم المقابلة بين وضعين مختلفين لنفس اللسان، يمكن أن نفترض أن كل فرد, أكان منتميا إلى الشرائح الأكثر تواضعا في المجتمع, أم إلى الطبقات العليا ,هو في نهاية الأمر شخص عادي» بـ«لسانه الأم» ، وربما بخياره في فهم الآخر». [7]

ومجمل القول من خلال تناول هذين المصطلحين أي مصطلح «الازدواجية» بالنسبة لـ«فرغيسون» ومصطلح «الثنائية بالنسبة لمارتيني حسب هذا الفهم يدفعنا إلى موازاة طرح هذا الأخير بما يذهب إليه علم الاشتقاق عند العرب، خاصة في تفريعاته أو تخريجاته.

والملاحظ أنه استثنى حالات «التعددية اللغوية » Plurilinguisme، والتي يمكن أن تظهر تراتبيتها من خلال النماذج التي تطبع حالة «الثنائية اللغوية » ، وهو يشير بذلك إلى الموقف الذي ينشأ من خلال إحلال لسان ذي اعتبار بشكل جزئي، وكذلك إلى تواتر الألسن عند «متعدد اللسان »Plurilingual

ويستطرد مارتيني في رده على من يصرون على التفريق بين ظاهرتي الثنائية» و«الازدواجية» اللغويتين وبالتالي التمييز بينهما اصطلاحيا بالقول: إننا نتفهم ما يرمي إليه بعض الباحثين حين يشددون على أن العوامل الاجتماعية ,تؤدي في إطار مقابلة «الثنائية اللغوية» بـ «الازدواجية اللغوية إلى تعارض ما، إذ إن ذلك

هو ما كان يذهب إليه الفهم التقليدي تمييزا لما يمكن اعتباره« ثنائية لغوية فردية »في مقابل « ثنائية لغوية جماعية»,حيث كان الفرد ينعت بكونه «مزدوج اللسان»، إذا كان يمتلك لسانين مختلفين تمام الاختلاف كامتلاكه للعربية والفرنسية.

وفي المقابل، يمكن القول إن المجتمع الذي يحوي أكثر من لغة أو شكل لغوي يمكن عده مجتمعا« ثنائيا» أو «متعدد الألسن» أو «اللغات».

لهذا يقترح مارتيني أن نسم أي مجتمع بسمة «التعددية». إذ لا يستبعد أن يدخل تحت ظاهرة «الازدواجية» التي لا يمكن أن ينجو منها أي مجتمع خاصة في واقعه الاستعمالي. يضاف إلى ذلك تنافس أكثر من لسان متميز، مهما كانت أسباب هذا التنافس. (8)

ويمكننا هذا الاقتراح من التفريق كذلك ,بين المواقف التي تتعارض فيها «اللهجات الإقليمية» مع «الشكل المحلي »للسان ما، حيث يمكن ملاحظة أشكال وسطية في شكل لغة ملهجنة Patoisé. تمنحنا سلاسة الانتقال بين المنطوق من اللغة والمكتوب منها، بالإضافة إلى خيارات أخرى.

ومن وجهة نظر أخرى يمكن اعتبار كل أفراد المجتمع بمثابة «أحاديي اللسان » بشكل أو بآخر, وذلك تمعنا في استعمال الكل لتنوعه الخاص به في سائر تعاملاته اليومية ,ما يدفعنا إلى استخلاص أن التقارب بين الألسن لا ينحصر أبدا في استفادة اللغات من بعضها بعضا من خلال المقترضات الناتجة عن الاحتكاك أو المجاورة، أو عن طريق التبادل التجاري، بل يمكن أن تشكل عوامل أخرى بدخولها على الخط، نوعا من التداخل ,وبالتالي الاقتراض, كالاستعمار مثلا فهاته العوامل تعتبر هي كذلك، فواعل قوية، إذ تعمل بشكل جلي في تفاعل الألسن وتداخلها حد الاقتراض.

من هنا يمكن اعتبار أن التقارب بين اللغات يمنحها نوعا من الثراء، ويزودها بمسميات المستجدات الإبداعية أو الفكرية, فالتلاقح الفكري يعد عنصرا أوليا لاستيعاب العلوم والأفكار الجديدة, ذلك أنه يرصد تفاعل المستجدات وتكاملها فكريا ولغويا.

كما أن التداخل الناتج عن الغزو ,يمكن أن يشكل عنصرا مساعدا في إخصاب اللغة بتزويدها بالألفاظ والصيغ الجديدة، بقدر ما يشكل عنصرا معاكسا، إذ يسهم في تكسير نسقيتها وإعادة قولبة صيغها.

وقد لا يرى المحافظون على كلاسيكية اللغة إلا الجانب السلبي لهذا التأثير معللين دفوعاتهم بالقول إن ذوبان لفظ دخيل في لغة غيرية, لوحده له تأثير سلبي

على اللغة، حيث تتم من خلال مصادرة حق اختلاف لغة من اللغات مع اللغة الغيرية.

ولهذا، يعتبر الاستلاب اللغوي من أسوأ أنواع الاستلاب، فهو يؤدي إلى فصل الفرد ثقافيا ونفسا، وبالتالي سلخه عن محيطه وسلبه هويته، ما يجعله في وضعية النفور من لغته واعتبارها «لغة دنيا». وقد تنعكس تلك الدونية على نفسيته، فتصبح نوعا من التنكر للأصل وللموروث الثقافي، وبالتالي «الانفصام». ويعتبر هذا الرائز نفسيا، أكثر منه اجتماعيا أو لغويا، إذ للقوي دائما تأثير على الضعيف، وما ينطبق على الفرد ينطبق على اللغة.

لهذا، فالمفردات «الدخيلة» أو «المقترضة» التي تتسرب إلى اللغة، إما عن طريق «الاقتراض» أو «التداخل»، قد يكون لها مردود إيجابي، كما يمكنها أن تعمل سلبا تجاه اللغة المستقبلة. كما يجب أولا أن لا ننسى دور التعليم في تفعيل الألسن الأجنبية وتوسيع دورة «العددية اللغوية» وما ينتج عن ذلك من تداخل واقتراض، فبالأحرى لغة المستعمر.

وإذا كان للتداخل اللغوي تأثير كبير على لغة المستعمر، فإن اللغة الإنجليزية تلعب تقريبا نفس الدور حاليا: وذلك إذا ما نظرنا إلى الأمر من جهة المستوى العلمي والتقني الرفيع الذي تتمتع به ,كحاضنة بشكل عام, وذلك في غيبة عما إذا كان الأمر يتعلق بمستعمرة سابقة من مستعمراتها.

3-عوامل التداخل اللغوي في المغرب

بما أننا بصدد ضبط التداخلات الناتجة عن تقاطع ظاهرة لغوية بعينها، فإنه يمكن الجزم بأن التغيرات الاجتماعية التي جاءت مع الواقع الاستعماري الذي ابتلي به المجتمع المغربي، مثله مثل باقي المجتمعات التي خضعت للاستعمار، حيث توالدت عن تلك التغيرات تحولات كبيرة في شكل تكتلات مدينية جديدة، إضافة إلى النزوح المكثف، والذي ضاهى ما كان قائما عليه الأمر في المدن العتيقة.

فهجرة سكان البوادي نحو التكتلات المدينية الجديدة، أدى إلى إعادة ترتيب الهرم الاجتماعي، حيث نشأت طبقات اجتماعية جديدة فرضتها ظروف الحال في شكل أعمال جديدة سميت «مدينية» لارتباطها بالمدن من جهة وبالمكننة من جهة أخرى، كما ظهرت إلى جانبها صناعات سميت «خدماتية».

وتبعا لذلك، فقد ظهرت طبقة مجتمعية صنفت «طبقة العمال أو المستخدمين»، أو ما يطلق عليها حسب الاصطلاح الاقتصادي بروليتاريا مدينية. وقد انعكست

تأثيرات هاته التغيرات على اللغة ما أدى إلى فرز ثنائية السنية هجينة»، إلى جانب «الازدواجية» المسلم بها). وقد أضحت هذه الثنائية»، التي بدأت تنشأ في المجتمع، أقل مقاومة من مثيلاتها المحلية فعليا أثناء الاستعمال: ذلك أن التأقلم مع البيئة الجديدة بات ضرورة حياتية بالنسبة إلى كل أفراد المجتمع.

فالتوترات الاضطرارية التي يمكن أن تحصل تعد أمرا بديهيا خاصة عندما يدخل لسانان أو أكثر في منافسة حين ممارسة عملية التكلم، إذ إن هذه المنافسة هي ما يمكن أن تدفع « متعدد اللسان» إلى نسج نوع من التواتر عبر مواقفه من خلال وضع «الازدواجية» [10] التي تصبح هي من تمتلكه عوضه.

أما عن تصنيف المواقف التي تتسم «بثنائية اللسان»، فالمجال لا يقتصر للبحث عن شروط استعمال لسانين متنافسين، كما يقترح فيشمان: [11]

- من يتكلم؟ أي لسان؟ مع من؟ ومتى؟

لكن، وأيضا في اتجاه تطور السؤال التالي:

- هل يمكن استنتاج أن هناك إسقاطا تدريجيا للسان المحلي لصالح اللسان الراقي أم العكس؟
- وهل يتراجع هذا الأخير أمام اللسان المحلي؟
- وهل يميل اللسانان موضوع البحث إلى الاندماج؟

هذا الطرح الأخير، لن يكون محتملا إلى في حالة «الازدواجية اللغوية» كما يتصورها فرغيسون[12] Ferguson، حيث تتسم الألسن المتواجدة بالتقارب نسبيا.

وعلى هذا الأساس يبني (فرغيسون) خطاطته التصنيفية التي سنبسطها، مبقين على مضامينها، حتى لا ينزاح الفهم حين مقارنتنا لها بما يوازيها من ظواهر في مجتمعات مماثلة.

يقترح فرغيسون حرف [ت] رمزا لـ «للغة التحتية» أو «اللهجة المحلية: وهي تمثل بالنسبة له اللغة الأقل تعييرا أو اللغة« البدئية » Initial، وهي في كل الأحوال« لغة محلية». ويقترح حرف [ف] رمزا لـ «اللغة الفوقية أو المعيرة، وتعتبر اللغة الرسمية أو لغة السلطة وهي في كل الأحوال لغة الإدارة والإعلام والتعليم.

وقد انطلق في توصيفه للتصنيفات اللغوية من وضع اللسان الفرنسي في تعالقه ببعض المحكيات المحلية، كما قارب في هذا التوصيف بين ألسن أخرى تماثل وضع اللسان الفرنسي وذلك قصد تزكية تصوره التمييزي لظاهرة« الازدواجية اللغوية » التي أولاها الكثير من الاهتمام لما يشوبها من خلط بظواهر أخرى تتقاطع

معها من خلال مظاهر «التداخل» و «الاقتراض على مستوى المعجم أو الصواتة أو التركيب، لكنها لا تتماثل معها ضرورة، ونعني بذلك ظاهرتي «الثنائية» و«التعدد اللغويتين » .

لقد خضعت اللغة العربية داخل المجتمع المغربي لتأثير لغات وأشكال لغوية تمازجت معها: وذلك بنسب متفاوتة, وتأتي اللغة الأمازيغية بأنواعها على رأس ذلك، إلى جانب الفرنسية والإسبانية والبرتغالية، ودليلنا على ذلك تواجد ألفاظ مقترضة من هذه اللغات والتي سجلت حضورها في المشهد اللغوي المغربي بطرائق عدة ضمنها المجاورة أو المتجاورة أو الاستعمار. وبتمازج كل هذه التشكيلات اللغوية، أمكننا اليوم الحديث عن لغة مغربية دارجة في منطوقها عربية في مكتوبها مليئة بالمقترضات في كليتها، وهو ما يشكل عنصر إيجاب وسلب في مقارنة مع« العربية الكلاسيكية أو الفصحى » .

على سبيل الختم:

على ضوء ما تقدم، يتبادر إلى الذهن سؤال في غاية الأهمية ومفاده: هل نتحدث عن عربية فصحى بنكهة مغربية، أم عن عربيات فصيحة؟

يتعلق الأمر هنا بتوزيعات ومزواجات لغوية Diglossia ,ناتجة عن تداخل لغات مختلفة الأنساق، يعكس تمازجها إشعاعا على التنوعات اللهجية المحلية واللغة العربية على السواء, وذلك في شكل ازدواجيات أو تعددية لغوية تشمل المجتمع ككل، حيث تجعلنا نميز بين مختلف أنماط التعابير داخل المجتمع, على المستويين الكتابي والشفوي. تدفعنا أنواع التواصل اللغوي هاته إلى محاولة استنباط قواعد مشتركة عامة وأخرى محايثة، يمكن اعتبارها تحويلية في أحد مبادئها. فهي تمكننا فرضا من إرساء أسس لغة عربية متميزة بنكهة مغربية تنمو نموا طبيعيا وتلقائيا دون نفور أو تنفير لما هو جديد. وكذلك ,وهذا مهم دون إقحام اقتراضات موسومة بالتنافر لا على المستوى الصوتي أو الجرس السمعي، أو البناء التركيبي.

وهذا التداخل الذي يفرزه واقع حال اللغة العربية المغربية حاليا، يجب ألا يغيب عنا تصورا آخر, مفاده الدفاع عن فكرة, أن هذه الأشكال المتعددة والمختلفة تكون لغات تجاور بعضها بعضا، لحد تبدو معه قريبة فيما بينها غير أنها متميزة، ويثبت ذلك أن كل لغة من بين هذه اللغات تعتمد نظام قواعد تركيبية خاصة بها، وأن هذا النظام القاعدي يختلف عن الأنظمة التركيبية الأخرى.

ويتسم توصيفنا لواقع تعايش اللغات بالبحث عن مدى استئثار كل واحدة بحقل من حقول الاستعمال داخل المجتمع، ومدى سعة اللغة المستعملة تداوليا كتابة أو منطوقات ,واستيعاب الاقتراضات اللفظية منها والتركيبية أي مدى قبول أو استساغة مستويات التداخل بين اللغات المتعايشة وأشكالها داخل المجتمع المغربي، وانعكاس كل ذلك على اللغة العربية المعاصرة.

إن التسليم بناتج هذا الطرح، يدفعنا إلى طرح سؤال افتراضي. يمكن صوغه كالتالي:

ما هو واقع ومال لغتنا العربية الموسومة بالنكهة المغربية والمحلية؟

وإذ نحاول تقليب هذه الفرضية، سنكون بصدد ترصد ومحاصرة الأشكال اللغوية المحتكة بها نطقا وكتابة - من جهة ,وضبط التحولات الناتجة عنها، سواء كانت دارجة «معيارية» . Standard أو لهجة محلية [13] . وفي علاقتها باللغة العربية [14] من جهة ثانية.

هوامش وإحالات

1- غارمادي (1990)، ص87

2- Fishman Jashua (1968), P.115

3- Ibid. P.118

4- Martinel A. (1086), P.101

5- انظر: المزهر للإمام جلال الدين السيوطي، الجزء ..

6- Martinel A. (1086), P.118

7- Ibid. P.120

8- Ibid. P. 136

9- Voir Martinel André. « Fonction et dynamique des langues.«

10- تعني ابتلاع اللغة كما هو الشأن في اللغة الإنجليزية حيث يتم ابتلاع الكثير من الأصوات أو الحروف عند نطق الكلمات أو التراكيب وقد ابتدع هذا المصطلح لأول مرة لويس جان كالفي.

11- Fishman Joshua (1070), P.108.

12- Ferguson (1959) .P.235.

13- نقصد باللهجة المحلية الشكل اللغوي المنحصر في منطقة محددة جغرافياً.

14. والمقصود باللغة المطبعة اللغة التي اكتسبت من المرونة ما يجعلها تستوعب ما استجد من ألفاظ أو مسميات أشياء جديدة.

المصادر والمراجع

- الإمام جلال الدين السيوطي (دت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى (و) محمد أبو الفضل إبراهيم (و) علي محمد البجاوي، المجلد الأول.
- جولييت غارمادي (1990) اللسانة الاجتماعية، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة. بيروت.
- Fishman Jashua (1968), The reflction of social processes in linguistic structures.

In (Ed), reading in the sociology of language. The Hague, Mouton.

,(1970)-Sociolinguistiques: introduction, Newbury House Language series.

- Martinel A (1986). Fonction et dynamique des langues ». Edité par A. Colin paru en 1968
- Ferguson (1959), C. A. Diglossia; word A.